منشأ التشابه ومحله في آيات الصفات
(دراسة وتحليل)

Hafiz Muhammad Tariq

International Islamic University Islamabad (IIUI) Pakistan
E-mail: hafizmuhammadtariq105@gmail.com

Abstract. The Holy Quran was revealed to the Holy Prophet Mohammed (Peace be upon him) by Allah Almighty as a final revelation for the whole of mankind. After the time of the Prophet Mohammed, his fellow scholars began writing commentaries on the holy Quran to understand its meaning and its context. The Mufassireen have concluded that the Quran has two types of verses; Muhkam are verses which are clear and have no dispute as to what they actually mean. Mutashabih are verses which have two or more than two options for the readers to infer their meaning and such verses have been open to debate amongst the Islamic scholars. This paper attempts to provide the correct definitions of Muhkam and Mutashabih verses based on the opinions of the classical and modern scholars. Based on the views of the modern and classical scholars, the researcher discusses the different varieties of these two types of verses and removes any objections and contradictions between the two attempting to clear up any such misconceptions. The philosophical reasoning behind the revelation of Mukham and Mutashabih verses is also tackled within this paper to ensure all areas and opinions are covered, giving an unbiased understanding of the subject.

Abstrak. Alquran diturunkan kepada Nabi Muhammad saw oleh Allah SWT sebagai wahyu terakhir untuk seluruh umat manusia. Setelah zaman Nabi Muhammad, para sarjana mulai mengkaji Alquran untuk memahami makna dan konteksnya. Golongan Mufassirin menyimpulkan bahwa Alquran memiliki dua jenis ayat; Muhkam yakni ayat-ayat yang jelas dan tidak bermasalah dengan artinya. Mutasyabih ayat-ayat yang memiliki dua makna atau lebih, pilihan bagi pembaca untuk menyimpulkan maknanya, dan ayat-ayat tersebut telah diperdebatkan diantara sarjana-sarjana muslim. Tulisan ini berusaha memberikan definisi yang benar dari ayat-ayat muhkam dan Mutasyabih berdasarkan pendapat dari sarjana klasik dan modern. Berdasarkan pandangan para mereka, peneliti membahas perbedaan dari kedua jenis ayat dan

menghilangkan semua kontradiksi untuk menyelesaikan kesalahpahaman yang ada. Alasan filosofis di balik ayat Mukham dan Mutasyabih juga dibahas dalam tulisan ini untuk memastikan semua pendapat telah diakomodir dan memberikan pemahaman yang tidak bias.

Kata Kunci: muhkam, mutasyabih, Alquran

تمهيد

قد أنزل الله الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، فرسم للخلق العقيدة السليمة والمبادئ القويمة في آيات بينات واضحة المعالم، وذلك من فضل الله على الناس حيث أحكم لهم أصول الدين لتسلم لهم عقائدهم ويتبين لهم الصراط المستقيم، وتلك الآيات هي أم الكتاب التي لا يقع الاختلاف في فهمها سلامة لوحدة الأمة الإسلامية وصيانة لكيانها "كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ."[١]

وقد تأتي هذه الأصول الدينية في أكثر من موضع بالقرآن مع اختلاف اللفظ والعبارة والأسلوب إلا أن معناها يكون واحدا، فيشبه بعضها الآخر ويوافقه معنى دون تناقض، أما ما عدا تلك الأصول من فروع الدين فإن في آياتها من العموم والاشتباه ما يفسح المجال أمام المجتهدين الراسخين في العلم، حتى يردوها إلى المحكم ببناء الفروع على الأصول، والجزئيات على الكليات وإن زاغت بها قلوب أصحاب الهوى وبهذا الإحكام في الأصول والعموم في الفروع كان الإسلام دين الإنسانية الخالد الذي يكفل لها خير الدنيا والآخرة على مر العصور والأزمان.

وقد جعله الله تعالى في كتابه العزيز لحكمة قد يعلمها بعض البشر ولكن يجهلها أكثرهم، والحكمة في وقوع المحكم والمتشابه في القرآن هي ابتلاء

---

١. سورة فصلت، الآية: ٠٣.

الناس في إيمانهم، فالمؤمن يقبل كل ما ورد في كتاب الله تعالى ولو لم يعرف حكمة تشريعه. و هو يعلم أن القرآن كله من عند الله تعالى، وما كان من عند الله فهو حق، ولا يمكن أن فيه باطل، أو تناقض لقوله تعالى: "لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ."[٢] وقوله تعالى: "لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا."[٣]

وأما المنافق الذي في قلبه زيغ، فيتخذ من المتشابه سبيلا إلى تحريف المحكم واتباع الهوى في التشكيك في الأخبار والاستكبار عن الأحكام، ولهذا تجد كثيرا من المنحرفين في العقائد والأعمال، يحتجون على انحرافهم بهذه الآيات المتشابهة.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ."[٤]

فالمؤمن الحقيقي يقبل ما نزل من المتشابه ويمره على نفسه ويقبله من غير بحث فيه كما هو منهج أكثر الصحابة والتابعين التزاما بالمنهج الرباني الذي أشارت إليه الآية آنفة الذكر فيقولون: "آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا". أما ضعاف الإيمان والذين في قلوبهم مرض وناقصي العلم والإدراك فإنهم يؤولون تأويلات خاطئة قد تودي بهم في النار بسبب تلك التأويلات كما قال

---

٢. سورة فصلت، الآية: ٤٣

٣. سورة النساء، الآية: ٨٢

٤. سورة آل عمران، الآية: ٠٧

سبحانه وتعالى: "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ."

ففي هذا البحث أحاول بيان أهم النقاط التي تتعلق بالمحكم والمتشابه، ومنشاء التشابه ومحله في آيات الصفات، ومنهج بعض المفسرين في بيان المحكم والمتشابه. والله أسأل التوفيق والسداد والرشاد لإكمال هذا البحث، إنه سميع الدعوات. وصلى الله تعالى على النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

تعريف المحكم والمتشابه

قبل الدخول في صلب البحث علينا أن نعرف ما هو مفهوم المحكم والمتشابه حتى يتضح لنا الطريق في فهم الموضوع.

المحكم لغة: المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعيل بمعنى مفعل، أحكم فهو محكم .... وقيل: هو ما لم يكن متشابها لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره.[٥] وفي المعجم الوسيط: "المحكم: المتقن، ومن القرآن الظاهر الذي لا شبهة فيه ولا يحتاج إلى تأويل، وفي التنزيل العزيز: "مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ."[٦]

والمتشابه لغة: معناه: يشبه بعضها بعضا، والشبهة: الالتباس وأمور مشتبهة ومشبّهة، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضا. وفي القرآن المحكم والمتشابه. وشبه عليه الأمر: لبّس عليه، وفي التنزيل: "مُشْتَبِهًا

---

٥. ابن منظور، *لسان العرب*، (بيروت، لبنان: دار صادر)، ١٢/١٤٠

٦. سورة آل عمران، الآية: ٧ ؛ وإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، *المعجم الوسيط*، (استانبول، تركيا: المكتبة الإسلامية، بدون سنة الطبع)، ١/١٩٠

وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ"[٧] ومنه قول الله سبحانه وتعالى وصفا لرزق الجنة: "وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا"[٨] والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات.[٩]

أما في الصطلاح اختلف العلماء في تعريفهما: فقيل: المحكم ما له دلالة واضحة، والمتشابه ما له دلالة غير واضحة، فيدخل في المتشابه المجمل والمشترك. وقيل في المحكم: هو متضح المعنى، وفي المتشابه هو غير متضح المعنى، وهو كالأول، ويندرج في المتشابه ما تقدم. والفرق بينهما أنه جعل في التعريف الأول الاتضاح وعدمه للدلالة، وفي الثاني لنفس المعنى.

وقيل في المحكم هو: ما استقام نظمه للإفادة، والمتشابه ما اختل نظمه لعدم الإفادة، وذلك لاشتماله على ما لا يفيد شيئا ولا يفهم منه معنى، هكذا قال الآمدي[١٠] ومن تابعه. وقيل المحكم: ما عرف المراد منه، إما بالظهور، وإما بالتأويل، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه.

---

[٧]. سورة الأنعام، الآية : ٩٩

[٨]. سورة البقرة، الآية: ٢٥

[٩]. انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، ٥٠٣/١٣ ؛ والجوهري، *الصحاح*، (بيروت، لبنان: داراحياء التراث العربي، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.) ١٧٨٩/٥- ١٧٩٠

[١٠]. الآمدي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي، الفقيه، الأصولي، الملقب سيف الدين الآمدي؛ أحد أذكياء العالم. ولد في مدينة آمد سنة ٥٥١هـ. كان في أول اشتغاله حنبلي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي، ومن مؤلفاته الإحكام في أصول الأحكام، لباب الألباب، ومنتهى السول في علم الأصول، ومؤلفاته نحو العشرين مؤلفا كلها منقحة حسنة. انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (بيروت، لبنان: دار صادر.الطبعة الأولى:١٩٧١م. المحقق: إحسان عباس)، ٢٩٣/٣ ومابعدها. ؛ والسبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، *طبقات الشافعية الكبرى*، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو)، ٣٠٦/٨ .

وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما احتمل أوجها. وقيل: المحكم الفرائض، والوعد والوعيد، والمتشابه القصص والأمثال.

وقيل: المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ. وقيل: المحكم هو معقول المعنى، والمتشابه هو غير معقول المعنى، وقيل غير ذلك.[١١] وقال الإمام الجصاص الحنفي: كان ابو الحسن الكرخي رحمه الله تعالى يقول: "المحكم (ما) لا يحتمل إلّا وجها واحدا، والمتشابه ما يحتمل وجهين أو أكثر منهما."[١٢] والتعريف الآخير هو المختار، لأن أكثر الأصوليين عليه.

القرآن محكم ومتشابه

وفي القرآن الكريم آيات محكمات لا يقع فيها الاختلاف، ولا تختلف فيها الأفهام فهي أم الكتاب وآيات أخرى متشابهات تتباين فيها الآراء في المراد. وفي التنزيل العزيز: "مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ"[١٣] ولا تعارض بين الآيات التي تدل على أن القرآن كله محكم أو أنه متشابه كله، لأن القرآن الكريم كله محكم من جهة الإحكام والإتقان والفصاحة وصحة المعاني، وكونه كلاما حقا، لقوله تعالى: "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ"[١٤] وقوله تعالى: "تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ."[١٥] فهو أفضل من كل

---

[١١]. انظر: الشوكاني، *ارشاد الفحول*، (دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.)، ١٣٩/١

[١٢]. الجصاص، *الإمام أحمد بن علي الرازي، الفصول في الأصول*، (دولة الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ١٩٨٥م . بتحقيق: د. عجيل جاسم النشمي.)، ٣٧٣/١

[١٣]. سورة آل عمران، الآية: ٠٧ ؛ وإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر. محمد النجار، *المعجم الوسيط*، ١٩٠/١

[١٤]. سورة هود، الآية: ٠١

كلام يوجد في هذه المعاني، ولا يمكن لأحد أن يأتي بكلام يساويه فيها، والقرآن كلّه متشابه من حيث إنه يشبه بعضه بعضا في الحسن، ويصدق بعضه بعضا، لقوله تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا".[١٦]

قال الإمام السيوطي: "والجواب عن الآيتين أن المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه وبتشابهه كونه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والإعجاز."[١٧] وذكر الإمام البغوي فيه الأقوال المختلفة، ومنها قال: "حيث جعل الكل محكما، أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل، وحيث جعل الكل متشابها أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق وفي الحسن وجعل هاهنا بعضه محكما وبعضه متشابها."[١٨] ويقول الشيخ القاضي ثناء الله الباني: "فكيف فرق ههنا فقال: "مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ" "وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ"؟ قلنا: حيث جعل القرآن كله محكما فمعناه أنه متقن محفوظ عن فساد المعنى وركاكة اللفظ لا يستطيع أحد معارضته والطعن فيه، وحيث جعل كله متشابها أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحسن والكمال، وفرق ههنا من حيث وضوح المعنى وخفائه."[١٩]

---

[١٥]. سورة يونس، الآية: ٠١

[١٦]. سورة الزمر، الآية: ٢٣

[١٧]. السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، (مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.) ٠٥/٢

[١٨]. البغوي، محيي *السنة*، أبو محمد الحسين بن مسعود، *معالم التنزيل*، (دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة: ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م ، بتحقيق: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش.)، ٠٨/٢

[١٩]. الباني بتي، القاضي ثناء الله، *التفسير المظهري*، (بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م. بتحقيق، إبراهيم شمس الدين.) ٤٣٦/١

منشأ التشابه ومحله في آيات الصفات

الآيات القرآنية المشكلة الواردة في صفات الله تعالى، كقوله: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"[٢٠] هي أهم ما يتعلق بهذا الضرب من المتشابه الذي لا سبيل لأحد من البشر إلى الوقوف عليه، وقد أفردها ابن اللبان بكتاب سماه "رد المتشابهات إلى الآيات المحكمات".[٢١]

منشأ التشابه وأقسامه وأمثلته وأنواعه

إن منشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشارع من كلامه أما تفصيلا فنذكر أن منه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى ومنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ والمعنى معا.

ويقول القاضي ثناء الله الباني بتي في تفسير المتشابهات: المتشابه: "التي يشتبه على السامع العارف باللغة المراد منه بحيث لا يدرك بالطلب ولا بالتأمل إلا بعد بيان من الشارع بعبارة محكمة فإن وجد البيان والتعليم من جهة الشارع وظهر المراد منها سميت مجملا على اصطلاح الأصوليين كالصلاة، والزكاة، والحج، والعمرة، وآية الربا ونحو ذلك، وإن لم يوجد البيان والتعليم سميت حينئذ متشابها على اصطلاحهم ولا يجوز هذا القسم إلا فيما لا يتعلق به العمل كيلا يلزم التكليف بما لا يطاق وذلك كالمقطعات القرآنية، وقوله تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"[٢٢] و "الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى."[٢٣]

---

[٢٠]. سورة طه، الآية: ٠٥

[٢١]. انظر: السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*... ٢/٨

[٢٢]. سورة الفتح، الآية: ١٠

[٢٣]. سورة طه، الآية: ٠٥ ؛ و الباني بتي، القاضي ثناء الله، *التفسير المظهري*.. ١/٤٣٥-٤٣٦

ويرى الشيخ الباني بتي أن المقطعات وآيات الصفات من المتشابهات. وهذا هو الأظهر لأنه لا يعرف معنى هذه الصفات وكيفيتها إلا الله تعالى. يقول الشيخ المظهري: "والاستواء من المتشابهات قال السلف في قوله تعالى: "الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" أن الاستواء معلوم بلا كيف، وقال سهيل بن عبد الله التستري: لا يجوز لمؤمن أن يقول كيف الاستواء لمن خلق الاستواء، ولنا عليه الرضاء والتسليم."[٢٤]. التشابه بالجملة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التشابه من جهة اللفظ على قسمين

١. ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء في الألفاظ المفردة، إما من جهة الغرابة، وإما من جهة الاشتراك. مثال التشابه في المفرد بسبب غرابته وندرة استعماله لفظ الأب بتشديد الباء في قوله سبحانه: "وَفَاكِهَةً وَأَبّاً"[٢٥] وهو ما ترعاه البهائم بدليل قوله بعد ذلك: "مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ".[٢٦]

ومثال التشابه في المفرد بسبب اشتراكه بين معان عدة لفظ اليمين في قوله سبحانه: "فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ"[٢٧] أي فأقبل إبراهيم على أصنام قومه ضاربا لها باليمين من يديه لا بالشمال أو ضاربا لها ضربا شديدا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين أو ضاربا لها بسبب اليمين التي حلفها ونوه بها القرآن إذ قال: "وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ"[٢٨] كل ذلك جائز ولفظ اليمين مشترك بينها.

---

٢٤. الباني بتي، القاضي ثناء الله، *التفسير المظهري*، ٦\٤٥٠

٢٥. سورة عبس، الآية: ٣١

٢٦. سورة عبس، الآية: ٣٢

٢٧. سورة الصفت، الآية: ٩٣

٢٨. سورة الأنبياء، الآية: ٥٧

٢. التشابه يرجع إلى جملة الكلام المركب، إما بسبب اختصاره، أو من جهة بسطه، أو من جهة ترتيبه.

ومثال التشابه في المركب بسبب اختصاره قوله تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ"[٢٩] فإن خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه والأصل وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء ومعناه أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ما طاب لكم. وقيل: إن القوم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى فأنزل الله الآية ومعناه إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى أيضا وتبدلوا به الزواج الذي وسع الله عليكم فيه فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع.

ومثال التشابه يقع في المركب بسبب بسطه والإطناب فيه قوله جلت حكمته: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ".[٣٠] فإن حرف الكاف لو حذف وقيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع من هذا التركيب الذي ينحل إلى ليس مثل مثله شيء وفيه من الدقة ما يعلو على كثير من الأفهام.

ومثال التشابه يقع في المركب لترتيبه ونظمه قوله جل ذكره: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّماً"[٣١] فإن الخفاء هنا جاء من جهة الترتيب بين لفظ "قَيِّماً" وما قبله ولو قيل أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لكان أظهر أيضا.

---

[٢٩]. سورة النساء، الآية: ٠٣

[٣٠]. سورة الشورى، الآية: ١١

[٣١]. سورة الكهف، الآية: ٠١

القسم الثاني: التشابه من جهة المعنى

هو ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء المعنى وحده مثاله كل ما جاء في القرآن الكريم وصفا لله تعالى أو لأهوال القيامة أو لنعيم الجنة وعذاب النار فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق ولا بأهوال القيامة ولا بنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار.

القسم الثالث: التشابه من جهة اللفظ والمعنى

والمتشابه من جهتهما خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية، كالعموم والخصوص، نحو قوله تعالى: "فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ."[٣٢] **الثاني**: من جهة الكيفية، كالوجوب والندب، نحو قوله تعالى: " فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ."[٣٣] **الثالث**: من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ، كقوله تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ"[٣٤] والآية: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ."[٣٥] **الرابع**: من جهة المكان، والأمور التي نزلت فيها، نحوقوله تعالى: "وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا"[٣٦] فهذا الخفاء الذي في هذه الآية يرجع إلى اللفظ بسبب اختصاره ولو بسط لقيل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة ويرجع الخفاء إلى المعنى أيضا لأن هذا النص على فرض بسطه كما رأيت لا بد معه من معرفة عادة العرب في الجاهلية وإلا لتعذر فهمه. والآية: "إِنَّمَا

---

٣٢. سورة التوبة: ٠٥

٣٣. سورة النساء، الآية: ٠٣

٣٤. سورة آل عمران، الآية: ١٠٢

٣٥. سورة التغابن، الآية: ١٦

٣٦. سورة البقرة، الآية: ١٨٩

النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ"[٣٧] فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية. **الخامس:** من جهة الشروط، التي يصح بها الفعل ويفسد، كشروط الصلاة والنكاح. وهذه الجملة إذا تصورت، علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم.[٣٨]

المتشابهات ثلاثة أنواع[٣٩]

النوع الأول: ما لا يستطيع البشر جميعا أن يصلوا إليه كالعلم بذات الله وحقائق صفاته وكالعلم بوقت القيامة ونحوه من الغيوب التي استأثر الله تعالى بها: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ"[٤٠] وقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ."[٤١] وإن كنا نعلم معاني هذه الصفات، لكننا لا ندرك حقائقها، وكيفيتها لقوله تعالى: "وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً."[٤٢]

النوع الثاني: ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس كالمتشابهات التي نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والترتيب ونحوها مما سبق.

---

[٣٧]. سورة التوبة، الآية: ٣٧

[٣٨]. انظر: *الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن*، (بيروت، لبنان: دارالكتب العلمية، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.) ٤٢٩/٢

[٣٩]. انظر: المرجع السابق، ٤٢٩/٢

[٤٠]. سورة الأنعام، الآية: ٥٩

[٤١]. سورة لقمان، الآية: ٣٤

[٤٢]. سورة طه، الآية: ١١٠

النوع الثالث: ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم ولذلك أمثلة كثيرة من المعاني العالية التي تفيض على قلوب أهل الصفاء والاجتهاد عند تدبرهم لكتاب الله.

قال الراغب الأصفهاني[٤٣]: المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك. وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة. وضرب متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار إليه بقوله لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل."[٤٤]

وقال الشاطبي : "فالتشابه: حقيقي، وإضافي، فالحقيقي: ما لا سبيل إلى فهم معناه، وهو المراد من الآية، والإضافي: ما اشتبه معناه، لاحتياجه إلى مراعاة دليل آخر. فإذا تقصّى المجتهد أدلة الشريعة وجد فيها ما يبين معناه، والتشابه بالمعنى الحقيقي قليل جدا في الشريعة وبالمعنى الإضافي كثير."[٤٥]

مذاهب العلماء في متشابه الصفات

وللعلماء في متشابه الصفات مذهبان:

الأول: مذهب السلف، ويسمى مذهب المفوضة، وهو الإيمان بهذه المتشابهات وتفويض معرفتها إلى الله تعالى. سئل الإمام مالك عن الاستواء

---

٤٣. أنظر: الأصفهاني، *المفردات في غريب القرآن*، (كراتشى، باكستان: نور محمد كارخانه تجارت كتب)، ٢٥٥

٤٤. أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، (بيروت، لبنان: دار ابن كثير، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.) ٦٦/١ ، رقم الحديث: ١٤٣

٤٥. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، سنة الطبع: ١٩٩٧م.)، ١٥٦/٣

فقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني."[٤٦] وقال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم.[٤٧]

قال ابن الصلاح: "على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه. ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها."[٤٨] وأخرج اللالكائي عن محمد بن الحسن قال: إتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه.[٤٩]

الثاني: مذهب الخلف، ويسمى مذهب المؤولة، وهو حمل اللفظ الذي يستحيل ظاهره على معنى يليق بذات الله. وينسب هذا المذهب إلى أبي الحسن الأشعري، وجماعة من المتأخرين.

---

[٤٦]. انظر: السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ٢/٠٨ ، وقد أخرج الدارمي عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له ابن صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله بن صبيغ، فأخذ عمر عرجونا فضربه حتى دمي رأسه، وفي رواية أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: ألا يجالسه أحد من المسلمين. (انظر: *الإتقان*: ٢/٥)

[٤٧]. السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ٢/١٤

[٤٨] . الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ١٩٥٧م، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم.)، ٢/٧٨ – ٧٩

[٤٩]. السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ٢/١٤

ولتوضيح المذهبين نذكر بعض الآيات القرآنية الواردة في متشابه الصفات. فمن ذلك، قوله تعالى: "الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"[٥٠] ، و قوله تعالى: "وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا"[٥١] ، و قوله تعالى: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ"[٥٢]، و قوله تعالى: "يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ"[٥٣]، و قوله تعالى: "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ"[٥٤] و قوله تعالى: وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي"[٥٥] و قوله تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"[٥٦] و قوله تعالى: "وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ."[٥٧]

فالسلف ينزهون الله عن هذه الظواهر المستحيلة عليه، ويؤمنون بها بالغيب كما ذكرها الله، ويفوضون علم حقائقها إليه، أما الخلف فيحملون الاستواء على العلو المعنوي بالتدبير من غير معاناة. ومجيء الله على مجيء أمره، وفوقيته على العلو لا في جهة، وجنبه على حقه، ووجهه على ذاته، وعينه على عنايته، ويده على قدرته، ونفسه على عقوبته. وهكذا يؤول الخلف على هذا المنوال جميع ما ورد من رضي الله وحبه وغضبه وسخطه وحيائه بحملها على أقرب مجاز، ويقولون: لا يراد من هذه الألفاظ إلا لازمها.[٥٨]

---

٥٠. سورة طه، الآية: ٠٥

٥١. سورة الفجر، الآية: ٢٢

٥٢. سورة الأنعام، الآية: ٦١

٥٣. سورة الزمر، الآية: ٥٦

٥٤. سورة الرحمن، الآية: ٢٧

٥٥. سورة طه، الآية: ٣٩

٥٦. سورة الفتح، الآية: ١٠

٥٧. سورة آل عمران، الآية: ٢٨

٥٨. انظر: الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ٧٩/٢ ومابعدها ؛ السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ١١/٢ ومابعدها ؛ صبحي الصالح، *مباحث في علوم القرآن*،(دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون: ٢٠٠٠م)، ٣٨٢ وما بعدها

والرأي المختار والأصوب عند أكثر العلماء هو ما ذهب إليه الفريق الأول، وهم يسمون المفوضة، وهذا مذهب السلف، فعلى المسلم أن يؤمن به إيمانا جازما من غير أن يخوض فيه، خاصة ما يتعلق بصفات الله عز وجل التي يقصر العقل البشر عن إدراكه، ولقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة الخوض في صفات الله وذاته سبحانه، فقال: "تفكروا في خلق الله ولاتفكروا في الله".[٥٩]

حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات

اختلف العلماء في الوارد من الآيات والأحاديث في الصفات على ثلاث فرق:

أحدها: أنه لا مدخل للتأويل فيها، بل تجرى على ظاهرها، ولا تؤول شيئا منها وهم المشبهة. **ثانيها**: أن لها تأويلا ولكننا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل، ونقول لا يعلمه إلا الله، وهو قول السلف. **ثالثها**: أنها مؤولة، وأولوها على ما يليق به و هو كذلك رأي بعض السلف.

قال الزركشي: والأول باطل والأخيران منقولان عن الصحابة. فنقل الإمساك عن أم سلمة وعن الإمام مالك، وسفيان الثوري، والأوزاعي، وابن راهويه، والغزالي.[٦٠] ثم قال: وممن نقل عنه التأويل علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وهو اختيار ابن برهان من الأشعرية. وقال الزركشي: "وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم

---

[٥٩]. أخرجه السيوطي في *الجامع الصغير من حديث البشير النذير*، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). وقال السيوطي: ضعيف. ٢٩٩/١ ، رقم الحديث: ٣٣٤٩

[٦٠]. انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، ٧٨/٢

من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة المتشابه والجسمية في حق البارئ تعالى، والخوض في كل هذه الأمور خطره عظيم."[٦١]

ويقول الشيخ المظهري: "فالواجب رد المتشابهات إلى المحكمات مهما أمكن حتى يتبين مراد المجمل فيعمل به كما في الصلاة والزكاة والربا أو السكوت عن تأويله مع الإيمان بها والتسليم بمرادها، فلما ثبت بإجماع الأمة ومحكم نصوص الأحاديث المتواترة أن المؤمنين يرون الله سبحانه في الآخرة كما يرون القمر ليلة البدر فلا بد أن يؤمن به، ويقول: المراد بالرؤية والنظر في قوله تعالى: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"[٦٢] هي النظر بالبصر وما لم يثبت كذلك كما في قوله تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" و"الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى." يسكت فيه مؤمنا به ولا يحمل على ظاهره. ويتبع المحكم من قوله تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ." فيقول بكونه تعالى منزها عن صفات الممكنات ولا يتعب نفسه في تأويل المقطعات فإنه غير مأذون فيه."[٦٣]

أقوال العلماء السلف في آيات الصفات المتشابهات

ذهب جمهور أهل السلف إلى الإيمان بما جاء في القرآن، وتفويض المعنى إلى الله، وعدم الخوض في تفسير هذه الآيات وتأويلها. وأبرز ما وقع الاختلاف فيه في موضوع الآيات المتشابهة آيات الصفات، في قوله تعالى: "الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى"، و "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ".

---

٦١. المصدر السابق: ٢/٧٩ – ٨٠

٦٢. سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ – ٢٣

٦٣. الباني بتي، القاضي ثناء الله، *التفسير المظهري*، ١/٤٣٧

أ- المراد بالاستواء في القرآن الكريم:

إن الاستواء له معان في اللغة، الاستواء بمعنى اعتدال، وغيرها من المعاني، وقد ورد الاستواء في القرآن الكريم في عدة آيات، منها: الإستواء إلى السماء، و الإستواء على العرش.

قال الإمام الطبري: الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه: منها انتهاء شباب الرجل وقوّته، فيقال إذا صار كذلك: قد استوى الرجل، ومنها: استقامة ما كان فيه أود من الأمور والأسباب، يقال منه: استوى لفلان أمره. إذا استقام له بعد أود. ومنها: الإقبال على الشيء، يقال: استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه. ومنها: الاحتياز والاستيلاء كقولهم: استوى فلان على المملكة، بمعنى احتوى عليها وحازها. ومنها: العلو والارتفاع، كقول القائل: استوى فلان على سريره، يعني به علوه عليه. وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ"[٦٤] علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات.[٦٥]

ويقول أيضا: اختلفوا في تأويل قوله: "ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ" فقال بعضهم: معنى استوى إلى السماء، أقبل عليها. وقال بعضهم: لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحول، ولكنه بمعنى فعله، كما تقول: كان الخليفة في أهل العراق يواليهم، ثم تحول إلى الشام، إنما يريد تحوّل فعله. وقال بعضهم: قوله "ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ" يعني به استوت. وقال بعضهم: "ثُمَّ

---

[٦٤]. سورة البقرة، الآية: ٢٩

[٦٥]. انظر: الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، (بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد محمد شاكر)، ١/٤٢٩ – ٤٣٠

اسْتَوَى إلى السَّماءِ"، عمد لها. وقال بعضهم: الاستواء: هو العلو، والعلو: هو الارتفاع. وممن قال ذلك الربيع بن أنس.[٦٦]

ويقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ."[٦٧] "هذه الآية من المشكلات، والناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة أوجه، قال بعضهم: نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها، وذهب إليه كثير من الأئمة، وهذا كما روي عن مالك رحمه الله أن رجلا سأله عن قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"[٦٨] قال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء أخرجوه. وقال بعضهم: نقرؤها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة. وهذا قول المشبهة. وقال بعضهم: نقرؤها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها."[٦٩] ثم قال: "وقد قال ابن عباس: ثم استوى إلى السماء صعد. وهذا كقولك: كان قاعدا فاستوى قائما، وكان قائما فاستوى قاعدا، وكل ذلك في كلام العرب جائز. وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين: قوله: "استوى" بمعنى أقبل صحيح، لأن الإقبال هو القصد إلى خلق السماء، والقصد هو الإرادة، وذلك جائز في صفات الله تعالى."[٧٠]

---

٦٦. المصدر السابق، ٤٢٨/١ – ٤٢٩

٦٧. سورة البقرة، الآية: ٢٩

٦٨. سورة طه، الآية: ٥٠

٦٩. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، (الرياض: دار عالم الكتب، ، السعودية العربية، سنة الطبع: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. تحقيق: هشام سمير البخاري)، ٢٥٤/١

٧٠. المصدر السابق، ٢٥٤/١ – ٢٥٥

واختلف العلماء أيضا في معنى الاستواء على العرش:

قال القرطبي في قوله تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ"[٧١] "هذه مسألة الاستواء؛ وللعلماء فيها كلام وإجراء.... والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيز، والتغير والحدوث. هذا قول المتكلمين. وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته."[٧٢]

ب – أقوال العلماء والسلف في آيات اليد واليدين:

لقد ورد في بعض الآيات والأحاديث ذكر اليد واليدين والأيدي، هنا نحاول أن نعرف ما ذكر المفسرون حول هذه المسألة في تفاسيرهم.

قال الإمام الطبري : "وفي قوله تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"[٧٣] وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم، والآخر: قوة الله فوق قوّتهم في نُصرة رسوله

---

[٧١]. سورة الأعراف، الآية: ٥٤

[٧٢]. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ٢١٩/٧

[٧٣]. سورة الفتح، الآية: ١٠

صلى الله عليه وسلم، لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو."[٧٤]

قال الإمام الرازي: "قوله تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" يحتمل وجوها، وذلك أن اليد في الموضعين إما أن تكون بمعنى واحد، وإما أن تكون بمعنيين، فإن قلنا إنها بمعنى واحد ففيه وجهان: أحدهما: يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق إحسانهم إلى الله كما قال تعالى: "بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ."[٧٥] وثانيهما: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" أي نصرته إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه، يقال: اليد لفلان، أي الغلبة والنصرة والقهر."[٧٦]

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: "وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ"[٧٧] يقول: والذي يرسل الرياح نشرا لموتان الأرض بين يدي رحمته، يعني: قدام الغيث الذي يحيي موات الأرض."[٧٨] وقال القرطبي: "أي قدام المطر باتفاق أهل التأويل."[٧٩] وقال ابن كثير: أي: بين يدي السحاب الذي فيه مطر، يغيث الله به عباده المجدبين الأزلين القنطين."[٨٠] هذا ولا يصلح أن

---

[٧٤]. الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ٢١٠/٢٢

[٧٥]. سورة الحجرات، الآية: ١٧

[٧٦]. محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، *مفاتيح الغيب*، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ٧٥/٢٨

[٧٧]. سورة النمل، الآية: ٦٣

[٧٨]. الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ٤٨٥/١٩

[٧٩]. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ٢٢٥/١٣

[٨٠]. ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. تحقيق: سامي بن محمد سلامة)، ٢٠٦/٦

يكون المراد المعنى الظاهر لليدين لأن المعنى لا يعقل ولا يفهم حينئذ، والله أعلم.

أما قوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ."[٨١] قال الطبري في تفسير قوله تعالى: "بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"، أي: أمام عذاب جهنم قبل أن تَصْلَوْها.[٨٢] وقال الرازي: "إشارة إلى قرب العذاب، كأنه قال: ينذركم بعذاب حاضر يمسكم عن قريب بين يدي العذاب أي سوف يأتي العذاب بعده."[٨٣]

وقوله تعالى: "وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ."[٨٤] قال القرطبي في قوله: "لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ" لما قبلي.[٨٥] ويرى ابن كثير أن المعنى: مقررا للتوراة ومثبتا لها.[٨٦] وقال غيرهما: المعنى: جئت بما جاء به موسى من التوراة، والشرائع السماوية.[٨٧]

---

٨١. سورة سبأ، الآية: ٤٦

٨٢. انظر: الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ٤١٨/٢٠

٨٣. الرازي، *مفاتيح الغيب*، ٢٣٣/٢٥

٨٤. سورة آل عمران، الآية: ٥٠

٨٥. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ٤ /٩٦

٨٦. انظر: ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*،: ٤٤/٢

٨٧. انظر: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٣٢٠هـ/٢٠٠٠م. تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق)، ٨٥٩

فورد تفسير اليد بمعنى القوة، وبمعنى النعمة، وبمعنى العطاء، وبمعنى النصرة وبمعنى الحفظ. وكل هذه التفسيرات ليست خارجة عن علوم اللغة العربية لأن لليد معاني متعدده ذكرها أهل اللغة كما بينا سابقا.

فما نرى أحدا منهم قال: أن المراد اليد الجارحة حقيقة في أي من الأيدي الواردة في تلك النصوص الكريمة. وهذا يدل على أن المفسرين أولوا المراد باليد بمعاني كثيرة وهي توافق المعنى اللغوي العربي وتوافق معنى النص وروحه، كما توافق العقل لأن الله تعالى أخبرنا أنه "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ."[٨٨]

فائدة إنزال المتشابهات

لقد ذكر العلماء بعض الفوائد والحكم في إنزال آيات المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم، منها:

إن الله سبحانه احتج على العرب بالقرآن، إذ كان فخرهم ورياستهم بالبلاغة وحسن البيان، والإيجاز والإطناب، والمجاز والكناية والإشارة والتلويح، وهكذا فقد اشتمل القرآن على هذه الفنون جميعها تحديا وإعجازا لهم.

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الآيات المتشابهات اختبارا ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه، فيعظم به ثوابه، ويرتاب بها المنافق، فيستحق العقوبة. ولقد أشار الله تعالى في كتابه إلى وجه الحكمة في ذلك بقوله: "فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا"[٨٩]، ثم قال: جواباً لهم: "يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا". فأما أهل

---

[٨٨]. سورة الشورى، الآية: ١١

[٨٩]. سورة البقرة، الآية: ٢٦

السعادة فيعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، فيستوجبون الرحمة والفضل، وأما أهل الشقاوة فيجحدونها، فيستوجبون الملامة.

أن القرآن مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العوام تنفر في أكثر الأمر عن درك الحقائق فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه، ظن أن هذا عدم ونفي فوقع التعطيل فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح، فالقسم الأول: وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر يكون من المتشابهات. والقسم الثاني: وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر من المحكمات.[٩٠]

أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة فكان في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة.[٩١]

أنه لو كان القرآن كله محكما لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد، وكان بصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب. وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فإذا كان مشتملا على المحكم

---

[٩٠]. السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ٣١/٣ – ٣٢ ؛ وانظر: الرازي، *مفاتيح الغيب*، ١٤٩/٧

[٩١]. السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ٣١/٢ ؛ وانظر: الرازي، *مفاتيح الغيب*، ١٤٩/٧

والمتشابه طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات وبهذا الطرق يتخلص المبطل من باطله ويتصل إلى الحق.[٩٢]

وقد ذكر الدكتور موسى شاهين لاشين بعض الفوائد من إنزال المتشابه. منها.[٩٣]

- حث العلماء على النظر الموجب للعلم.
- ظهور التفاضل بين العلماء وتفاوت الدرجات بينهم، إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل لاستوت منازل الخلق، ولم يظهر فضل العالم على غيره.
- فتح باب للأجر والمثوبة فإن بحث العلماء عن دقائقه من أعظم القرب، وإن مزيد المشقة في الوصول إلى المراد يوجب مزيد الثواب.
- فتح باب الجد والاجتهاد في العلوم، فإن القرآن باشتماله على المتشابه يحمل العلماء على تحصيل علوم كثيرة، كاللغة، والمعاني، والبيان، وأصول الفقه ليتمكنوا من التأويلات، وترجيح بعضها على بعض.
- تحريك العقول إلى الفكر والنظر للتخلص من ظلمة الجهل والتقليد.
- ولو قلنا بالأي الثاني وأن المتشابه مما استأثر الله بعلمه، كان من فوائد إنزاله: ابتلاء العباد واختبارهم: هل سيلتزمون بالوقوف عنده والتوقيف

---

[٩٢]. المصدر السابق

[٩٣]. انظر: د. موسى شاهين لاشين، *اللآلي الحسان في علوم القرآن*، (القاهرة، مصر: دار الشروق)، ١٥٧ –١٥٨.

فيه، والتقويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة، أو يتشككون ويثيرون به الفتن بين المسلمين؟ قوله تعالى: "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ.".

خاتمة

وقد وصلت من خلال هذا البحث العلمي إلى النتائج التالية:

أن القرآن الكريم فيه آيات محكمات لا يقع فيها الاختلاف، فهي أم الكتاب، وآيات أخرى متشابهات تتباين فيها الآراء في المراد. وفي التنزيل العزيز: "مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ."[٩٤]

لا تعارض بين الآيات التي تدل على أن القرآن كله محكم أو أنه متشابه كله، لأن القرآن الكريم كله محكم من جهة الإحكام والإتقان والفصاحة وصحة المعاني لقوله تعالى: "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ"[٩٥]، والقرآن كلّه متشابه من حيث أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن.

منشأ التشابه هو خفاء مراد الشارع من كلامه. و التشابه بالجملة على ثلاثة أقسام: الأول: التشابه من جهة اللفظ فقط. والثاني: التشابه من جهة المعنى فقط. والثالث: التشابه من جهة اللفظ والمعنى.

---

[٩٤]. سورة آل عمران، الآية: ٠٧ ؛ وإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر. محمد النجار، *المعجم الوسيط*، ١/١٩٠

[٩٥]. سورة هود، الآية: ٠١

المتشابهات على ثلاثة أنواع: الأول: ما لا يستطيع البشر جميعا أن يصلوا إليه. والثاني: ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس. والثالث: ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم.

وللعلماء في متشابه الصفات مذهبان: الأول: مذهب السلف، ويسمى مذهب المفوضة، وهو الإيمان بهذه المتشابهات وتفويض معرفتها إلى الله تعالى. والثاني: مذهب الخلف، ويسمى مذهب المؤولة. والرأي المختار والأصوب هو مذهب السلف أي مذهب المفوضة لأنه أوضح وأسلم.

والحكمة في وقوع المحكم والمتشابه في القرآن هي ابتلاء الناس في إيمانهم، وحث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه.

وقد بذلت جهدي بتوفيق الله تعالى في ترتيب هذا البحث وتنقيحه بقدر طاقتي فما كان في هذا البحث من توفيق وصواب فمن الله عزوجل، وما كان فيه من تقصير وخطاء فمني ومن الشيطان، فأحمد الله على ما وفقني إليه من الصواب، وأستغفره عما أخطأت فيه.

وفي الختام أسأل الله عزوجل أن يرزقنا علما نافعا، وقلبا خاشعا، ولسانا ذاكرا، وأن يجعل القرآن الكريم لنا إماما ونورا وهدى ورحمة، ولا تجعله علينا وبالا وغضبا ونقمة. وصلى الله تعالى على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأصفهانى، للإمام الراغب، *المفردات فى غريب القرآن*، كراتشى، باكستان: نور محمد كارخانه تجارت كتب، بدون طبع.

الباني بتي، الشيخ القاضي ثناء الله، *التفسير المظهري*، بتحقيق، إبراهيم شمس الدين، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل، *الصحيح البخاري*، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، لبنان: دار ابن كثير، بدون طبع.

البغوي، الإمام، *معالم التنزيل*، بتحقيق: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الجصاص، للإمام أحمد بن علي الرازي، *الفصول في الأصول*، بتحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الجوهري، *الصحاح*، بيروت، لبنان: داراحياء التراث العربي، ، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، *مفاتيح الغيب*، المعروف التفسير الكبير، بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الزرقاني، *مناهل العرفان*، ، ط. دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٣٢٠هـ/٢٠٠٠م. .

السيوطي، الإمام، *الجامع الصغير من حديث البشير النذير*، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

السيوطي، للإمام، الاتقان في علوم القرآن، مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، بدون طبع.

الشوكاني، الإمام محمد بن علي بن محمد، *إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول*، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

الصالح، الشيخ صبحي، *مباحث في علوم القرآن* ، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون: ٢٠٠٠م.

الطبري، الإمام، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة،. الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

عاشور، الشيخ محمد الطاهر بن، *التحرير والتنوير*، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع – – ١٩٩٧م.

القرطبي، الإمام، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، السعودية العربية: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

كثير، الحافظ ابن، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

لاشين، موسى شاهين، *اللآلي الحسان في علوم القرآن*، القاهرة، مصر: دار الشروق، بدون طبع.

مصطفى، إبراهيم، . أحمد الزيات . حامد عبد القادر. محمد النجار، *المعجم الوسيط*، استانبول، تركيا: المكتبة الإسلامية، بدون سنة الطبع.

منظور، الإمام محمد بن مكرم الأفريقي المصري بن، *لسان العرب*، بيروت، ط. دار صادر، بدون طبع.